Research in Contemporary Literature
Islamic Azad University in Jiroft
https://cls.jiroft.iau.ir/

Volume 14, Issue 56
January 2023
pp. 162-187

Research Article

Resisting Foreign Occupiers in the Poetry of Jawad al-Hattab

Mehdi Shahrokh[1*], Arshad Thamer Ibrahim Al-Khafaji[2]

Abstract

Resistance literature charts the course of the popular struggle that comes with the aim of liberating the land, and defending religion and culture against evil aggressors against those national and human values in a refined literary style. Contemporary Iraqi poet Jawad Al-Hattab is famous for his struggle stance and his resistance poetry in the Iraqi arena. And staying at home, where his book "A Wreath of Music on the Corpse of a Piano" was the first anti-occupation book of a poet living under occupation. This research aims to study the poetry of Jawad Al-Hattab's resistance against the American occupier, based on the descriptive analytical method. The results of the research indicate that the poet's poetry is replete with issues of praising the martyrs and heroes, denouncing the American invaders, revealing their crimes, and inciting armed struggle against them, and the poet's resistance axes is a call to struggle and expose American crime in Iraq with the aim of mobilizing world opinion and mobilizing the Arab masses against them and praising the heroes and martyrs because The role of the martyr in advocating the cause of liberating the country. We also see the emphasis on the element of hope for liberation in abundance in his poetry of resistance, where the recipient finds hope of victory and liberation important to his poetry.

Keywords: Resistance poetry, Resistance, Occupier, Jawad al-Hattab

1. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Mazandaran,Mazandaran, Iran
2. Master in the Department of Arabic Language and Literature, University of Mazandaran, Mazandaran, Iran

Correspondence Author: Mehdi Shahrokh **Email:** m.shahrokh@umz.ac.ir

DOI: 10.30495/CLS.2023.1972948.1384

Receive Date: 27.11.2022 **Accept Date:** 19.01.2023

دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
/https://cls.jiroft.iau.ir

دوره ١٤، شماره ٥٦
زمستان ١٤٠١
صص: ١٨٧-١٦٢

مقاله پژوهشی

مقاومت در برابر اشغالگران خارجی در شعر جواد الحطاب

شاهرخ مهدی[1*]، ابراهیم الخفاجی ارشد ثامر[2]

چکیده

ادبیات مقاومت مسیر مبارزات مردمی را که با هدف آزادسازی سرزمین و دفاع از دین و فرهنگ در برابر متجاوزان شیطانی به ارزش‌های ملی و انسانی انجام می‌شود، با سبک ادبی منصفانه ترسیم می‌کند. جواد الحطاب شاعر معاصر عراقی به خاطر موضع مبارزاتی و شعر مقاومتش در عرصه عراق شهرت دارد. و در خانه ماندن، جایی که کتاب او «تاجی از موسیقی بر جنازه یک پیانو» اولین کتاب ضداشغال شاعری بود که در اشغال بود. این پژوهش با هدف بررسی شعر مقاومت جواد الحطاب در برابر اشغالگر آمریکایی با روش توصیفی تحلیلی انجام شده است. نتایج تحقیق حاکی از آن است که شعر شاعر مملو از موضوعاتی چون ستایش شهدا و قهرمانان، نکوهش متجاوزان آمریکایی، افشای جنایات آنان و دامن زدن به مبارزه مسلحانه با آنان است و محورهای مقاومت شاعر، ندای مبارزه و افشاگری آمریکایی است. جنایت در عراق با هدف بسیج افکار جهانی و بسیج توده های عرب علیه آنها و تجلیل از قهرمانان و شهدا به دلیل نقش شهید در دفاع از آرمان های آزادی کشور. همچنین تأکید بر عنصر امید به رهایی را در شعر مقاومت او به وفور می بینیم، جایی که دریافت کننده امید به پیروزی و رهایی را برای شعرش مهم می یابد.

واژگان کلیدی: شعر مقاومت، مقاومت، اشغالگر، جواد الحطاب

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۱ .استادیار، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه مازندران، مازندران، ایران
۲. کارشناسی ارشد، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه مازندران، مازندران، ایران
نویسنده مسئول: شاهرخ مهدی ایمیل: m.shahrokh@umz.ac.ir

DOI: 10.30495/CLS.2023.1972948.1384

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۹/۰۶ **تاریخ پذیرش:** ۱۴۰۱/۱۰/۲۹

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

السنة الرابعة عشرة ، العدد ستة وخمسين
شتاء ١٤٤٣
صص: ١٨٧-١٦٢

ورقه ابحاث

مقاومة المحتل الأجنبي في شعر جواد الحطّاب

مهدي شاهرخ[١*]، ارشد ثامر ابراهيم الخفاجي[٢]

المخلص

الأدبُ المقاوم يرسمُ مسيرةَ النضال الشعبي التي تأتي بهدف تحرير الأرض، والدفاع عن الدين، والثقافة ضدّ الأشرار المعتدين على تلك القيم الوطنيّة والإنسانيّة بأسلوبٍ أدبيٍ راقٍ. اشتهر الشاعر العراقي المعاصر جواد الحطّاب بموقفه النضالي وشعره المقاوم في الساحة العراقية فقد وجد نفسه في صميم معركة ضارية إلا أنّه اختار المقاومة ولم يصطف في طابور أنصار الاحتلال الذين يعتقدون أنّ الأمريكا تصدر الحرية والديمقراطية مجاناً ولم يترك البلد ليعيش في المنفى هروباً من الملاحقات بل آثر المكوث والبقاء في الوطن حيث كان ديوانه "إكليل موسيقى على جثة بيانو" أول ديوان مقاوم للاحتلال لشاعر يعيش تحت الاحتلال. يهدف هذا البحث دراسة شعر جواد الحطاب المقاوم ضدّ المحتل الأمريكي معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي. تشير نتائج البحث إلى أنّ شعر الشاعر مفعم بقضايا الإشادة بالشهداء والأبطال والتنديد بالغزاة الأمريكان وكشف جرائمهم والتحريض على الكفاح المسلح ضدّهم كما أنّ محاور المقاومة لدى الشاعر هو الدعوة إلى النضال وتعرية الإجرام الأمريكي في العراق بهدف تعبئة الرأي العالمي وحشد الجماهير العربية ضدّهم والإشادة بالأبطال والشهداء نظراً إلى دور الشهيد في مناصرة قضية تحرير البلاد. كما نرى التأكيد على عنصر الأمل بالتحرير بكثرة في شعره المقاوم حيث المتلقى يجد الأمل بالانتصار والتحرّر مُهميناً على شعره.

الكلمات الدليليه: الشعر المقاوم، المقاومة، المحتل، جواد الحطاب

١. الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مازندران، مازندران، ايران
٢. الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مازندران، مازندران، ايران
المؤلف المختص: مهدي شاهرخ البريد الالكتروني: m.shahrokh@umz.ac.ir

DOI; 10.30495/CLS.2023.1972948.1384

تاريخ الوصول: ١٤٤٤/٠٥/٠٢ تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٦/٢٦

١. المقدمة

تميز أدب جواد الحطاب بسمة المقاومة وتحديداً مقاومة الاحتلال الأمريكي في العراق وقد أثنى عليه الكثير من النقاد والأساتذة نظراً لجودة شعره وصراحة بيانه وقوة قلبه أمام الاحتلال وأعوانهم المستبدين.

فجواد الحطاب ليس شاعراً حيادياً يقف على مبعدة من الأحداث كما يفعل البعض، بل هو شاعر مشارك، يرى ويفعل ويمارس دوره، عمل الحطّاب مائدة حوار كبيرة أجلس الشعراء على طرف منها، وأجلس المحتلين وصنّاعهم على الطرف الثاني، أما المائدة التي جلسوا عليها فكانت: العراق. (النصير، ٢٠١٩: ٦٤) يتنقل الحطّاب ببساطة المتمكّن بين مكوّنات اللغة من أقصى الفنية، إلى أبسطها تعبيراً عن المحنة، وهو يطرح ألمه وعذابات شعبه في حركات قلقة ومتوترة حدّ الاختناق، لكنها حركات مؤدّية لا تحجب الرؤية ولا تدخل في الضباب (البستاني، ٢٠١٢: ٢٦٧) إنّ شعر الحطاب مرثية وطن تستنهض الحياة من جدث عتيق، وترتّق ضوء قمر طاعن في عتمته. إنّها صوت الشعر الاستثنائي الذي يولد مع الكوارث والمحن. فقد كان الشاعر يمتلك الجرأة في الرصد، كما يمتلك القدرة في التعبير عن أهمية "النصّ المقاوم" في أن يؤسّس له حضوراً في الذهن وفي الواقع معاً. (سرمك، ٢٠٠٨: ١٦٩) حيث يلاحظ مضامين قصائده مرحلة مهمّة من مراحل الوجع العراقي، إنه من أهمّ الشعراء العراقيين الذي فتح منافذ شعره، بوجه المحتل وبوجه المتآمرين على البلد، وهذه الميزة لا يتمتع بها كثير من الشعراء المعاصرين لويلات الحروب إلا القليل.

فقد سرد الحطّاب فى شعره ثنائية الحاكم والمحكوم وما انطوت عليه من قهر وقمع وعذاب، ليحلّ لنا في نهاية المطاف لغزها الذي لم نكن نعرفه أو نسمع به من قبل، وهذا الحلّ الفريد والناجح، هو ماركة مسجلة باسم جواد الحطاب.

نظراً إلى محورية قضية المقاومة لاسيما مقاومة المحتلين الأجانب في شعر جواد الحطاب يهدف هذا البحث إلى دراسة قضية مقاومة الاحتلال الأمريكي لدى الشاعر كما يدرس البحث أساليبه الفنية المستخدمة في هذا الشعر المقاوم بما فيه ذلك فنون التشبيه والاستعارة والرموز والتناص وبذلك يعطي صورة واضحة عن قيمة شعرهما ويكشف عن جمالياته وأثره في نفسية المتلقي. وللوصول إلى هذا الهدف، البحث أمام الأسئلة التالية:

١- ما هي المحاور التى دار حولها الشعر المقاوم لدى الشاعر وكيف تجلت في شعره؟

٢- ما هي أبرز الأساليب الفنية والفنون الجمالية التي استخدمها الشاعر لغرضه المقاوم؟

سنعتمد المنهج الوصفي التحليلي في دراستنا الحالية إذ إنّ المنهج الوصفي هو أحد المناهج المهمة جداً في البحث، وتكمن هذه الأهمية في كثرة استعماله والاعتماد عليه في أنواع عديدة من الدراسات والأبحاث ونستخدمه لدراسة المقاومة ومعناها وحياة الشاعر وشعره. كما أنّ المنهج

التحليلي يعتبر أحد أهم مناهج البحث العلمي ويستخدم في تحليل البيانات، وهدفه الوصول إلى أفضل حلول ممكنة للمشكلة المتعلقة بموضوع البحث ونستخدمه في دراسة الموضوع في شعر الشاعر.

٢. الدراسات السابقة

هناك بعض الدراسات تناول شعر جواد الحطاب بالبحث والدراسة ولكن الموضوع لم يدرس لحد الآن في شعره وهذا هو الذي يقوم به هذا المقال. من أهم البحوث التي درست شعره هي:

كتاب "اختلاف الرؤى والتلقي في الخطاب الشعري المعاصر جواد الحطاب نموذجاً" للكاتبة خالدة خليل تمّ طبعه من قبل وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠١٣. والكتاب يتطرّق لمختلف جوانب حياة الشاعر وآراء الكتّاب والناقدين في شعره ويبرز بعض جوانبه الفنية ممّا ساعد على إعطاء فكرة عن الشاعر واتجاهه الأدبي والفكري؛ وكتاب "أفعي جلجامش- وعشبة الحطّاب الجديدة" للباحث حسين سرمك حسن والكتاب مجموعة دراسات في المنجز الإبداعي للحطاب في الشعر والنثر وهو يقدم صورة عن أدب الحطاب بصورة عامة فى كتبه النثرية والشعرية ويكشف عن رؤاه ومساره في الحياة الاجتماعية والسياسية والفنية؛ وكتاب "استنطاق الحجر - دراسة في شعر جواد الحطاب" للكاتب ياسين النصير طُبع عام ٢٠١٩ في دار نينوى بالعراق وقد تحدّث فيه الكاتب عن السيرة الذاتيَّة، وعن السيرة النصيَّة والكاتب في كتابه يحاول أن يعطي صورة شاملة عن أدب الحطاب ويقدمه للمتلقي العربي بأنصع صورة.

أمّا في مجال المقاومة فهناك العديد من البحوث أبرزها رسالة "الاستنهاض في شعر الجواهري" بإشراف الدكتور محمد علي آذرشب تم مناقشتها عام ١٣٩٢ش بجامعة طهران وقد تناولت أبرز تجليات المقاومة لدى الشاعر وكشفت عن فنونه البلاغية بصورة مجمله. وقد لخصت اتجاهات الشاعر في محاربة الاستبداد والاستعمار والاحتلال وإن كانت صبغة مكافحة الاستبداد والاستعمار أكثر تجلياً من جانب الاحتلال. و كذلك كتاب "أدب المقاومة" للباحث عادل الأسطة، و"الالتزام في الشعر العربي" لأحمد أبوحاقة، و"أدب المقاومة" لغالى شكرى؛ وهذه الكتب جميعها تطرّقت إلى قضية المقاومة العربية والإسلامية للاحتلال الصهيوني والاستعمار الغربي في القرن العشرين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي كالجزائر وفلسطين والعراق وغيرها

أما في إطار البحوث والمقالات في موضوع المقاومة هناك مقال "مظاهر أدب المقاومة في شعر نزار قباني" كتبه جواد سعدون‌زاده ونشره في مجلة الأدب المقاوم بجامعة الشهيد باهنر بكرمان الإيرانية، في ربيع ١٣٨٩ش، العدد٢، صص ١٤٥-١٦٧ تناول مظاهر المقاومة لدى الشاعر نزار قباني؛ كما كتب الباحث مقالاً آخر بعنوان "مظاهر أدب المقاومة في شعر أحمد مطر" ونشره في

المجلة نفسها في العدد ١، خريف ١٣٨٨ش، صص ٥١-٦٩، كما كتب علي خضري، ورسول بلاوي، وفاطمه محمدي مقالاً بعنوان "ملامح المقاومة في شعر عبدالرحيم محمود"، المنشور في مجلة "آفاق الحضارة الإسلامية، السنة ١٨، خريف وشتاء ١٣٩٤ش، العدد٣٦، كما هناك مقال آخر في هذه المجلة في العدد نفسه وعنوانه "ملامح المقاومة في أشعار سعدى يوسف وسلمان هراتي دراسة مقارنة" كتبه معصومه نعمتي قزويني وزهرا حكيم‌زاده؛ ولكن كما قلنا لحدّ الآن ليس هناك بحث أو دراسة درس مظاهر المقاومة لاسيما مقاومة المحتل الأجنبي في شعر جواد الحطّاب ونظراً لخلو الساحة الأدبية وأهمية الموضوع في شعر الشاعر، قام هذا البحث بدراسة هذا الموضوع في شعره.

٣. المقاومةُ لغةً واصطلاحاً

المقاومةُ كلمةٌ مشتقةٌ من الفعلِ الثلاثي "قَوَمَ" الذي حمل عدة معانٍ في المعاجم العربيّةِ، أوّلها: معنى الانتصاب والعزم؛ فنقول قام قوماً، وقِيامًا، وقومةً أي انتصب (الفراهيدي، ١٩٩٤، مادة قوم)، ومعنى ثانٍ يدورُ حول المُنازلة والمُغالبة والمُقارعة، يُقال: «قاومته في كذا: أي نازلته» (الرازي، ١٩٩٤، مادة قوم)، و«قاومه في المصارعة وغيرها وتقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لبعض» (الفيروزآبادي، ١٩٩٦، مادة قوم) «فعل قاوم في اللغةِ بمعنى ثبت أو صمد، ولم ينثن أو يضعف وكذلك يعني خاصَم، ونازع، وشاجَر والمقاوم من يعلن المقاومة، و"المقاومةُ مجابهة القوّة بالقوّةِ، وصُمُود فى وجه المهاجم» (الحموي، ١٩٩٣: ٨٧٨)

إنّ معنى المقاومة في الاصطلاحِ هو جميع الأفعال التي يقوم بها الإنسان المسلم ضد عدّوٍ غازٍ، يُريد الهيمنة على أرض المسلمين، أومُساعدتهم في تحرير بلادهم، أو نشرِ الدين الإسلامِي، وكان هذا المُصطلحُ في البِدء يعني المقاومة العسكرية ثمّ تَعمّم المصطلح فشمِلَ كلّ فعلٍ وقولٍ يكونُ في مصلحةِ الإسلام ويردّ العدو عن مبتغاه في استهداف الإسلام بالفعل والقول. وهي حق مشروع يتعلق بالدفاع عن النفس والحفاظ على سيادة الشعب عندما تتعرض للمساس.و هي تشمل كل جوانب الحياة، مادية وروحية، ثقافية، وسياسية، واقتصادية، وعلمية، فردية، وجماعية،داخلية، وخارجية لأنها دفاعٌ عن الذات، وحالة وجودية لكلّ مخلوقٍ (النجم، ٢٠١٤: ١٢)

٤. الأدب المقاوم

الأدب المقاوم ضربٌ من الأدب الملتزم الذي يعاكس رغبة السلطات الحاكمة الجائرة وغالباً ما يكون صريحاً بعيداً عن عنصر الخيال. لذا بناءاً على هذا التعريف فأدب المقاومة هو أدبٌ تعليمي ذو غايةٍ واضحةٍ، وهو يسعى لإلقاء فكرة التحرر في ذهن الشعوب ويعلمهم كيفية مناهضة الطغاة

والجبابرة ومقاومتهم. والمقاومةُ عند العرب هي تعبيرٌ عن إرادة الحياة والطموح في تحقيق حضور حرّ ومستقل وفاعل فهي ليست حالة وقتية، وإنّما هي مبدأٌ حياتي أصيل في عقلِ ووجدان الإنسان العربي وهي مبدأ قائم على تعشّق الحرية وإثبات الذات والفاعلية وردّ العدوان والتعامل مع الآخر بإخاءٍ وندية؛ وصور المقاومة في التاريخ العربي والثقافة العربية ذات جذور عميقة في هذه الثقافة ولها أشكال من التعبير كبيرة من شعرٍ ونثرٍ بأجناسها الأدبية المختلفة تعبّر كلّها عن الاعتزاز بالأمةِ واستنهاض همتها وقوتها وتأكيد وجودها ومكانتها فى الحياة (حلواني، ٢٠٠٥: ٢٠)

وعند الحديث عن أدب المقاومة، أو كما سوف يُصطلح له "الأَدبُ المُقاوِمْ"، فإنّه يُشار إلى الفرد ومكانته في العالم، وعلى وجه الخصوص؛ نضاله ضدّ القوى التي تحاول إيذاء وطنه أو سحق شخصيته أو إمحاء هويته. وقد تعرّضت الشعوب العربية للعناصر الثلاثة المذكورة، كما عانت شعوب أخرى وخاضت مواجهات كبرى ضدّ الاحتلال، واغتصاب الحقوق، وطمس الهويّة، وسلب الأراضي، والتهجير القسري، وفرض المعتقدات، والإجبار على نمط حياة معين، والاستغلال البدني والجنسي، والتمييز العنصري. وأبشعها بالطبع الإبادة الجماعية التي عانت منها شعوب كثيرةٌ على مرّ العصور. ناهيك عن معاناة الشعب من نظامه الشمولي المستبّد وهو ما يحصل في كلّ الأزمنة تقريبًا ومستمر إلى يومنا هذا. (أبو إصبع، ٢٠٠٥: ٢٩٨)

وإنّ أشكال المقاومة متعددة، حيث أنّها لم تكن مختصرة على السلاح فقط، بل إنّ مقاومة تكون منها اقتصادية، وأيضاً مقاومة ثقافية وكذلك مقاومة ضدّ التطبيع، ومقاومة في الكلام واللغة حيث أنّ اللغة العربيّة تعرضت لهجمةٍ يُراد منها القضاء عليه فتأتي المقاومة اللغوية لترد هذه الاعتداء. وقد عُرف عن الشعر المقاوم الإلتزام حيث لم يكن في خدمة السلطة بل يناهضها إن طالها التقصير ويطالبهم ويحثهم على العمل، وكان صريحاً وواقعياً ولم يذهب إلى الخيال البعيد في التعبير عن قضيته. وكذلك لم يكن فيه تعقيد، كما يصرّح بالحقيقة ويبيّنها لعامّة الجماهير بمختلف الثقافات. وبعد ذلك يتبين بأنّ الشعر المقاوم هو الشعر الملتزم وذلك جعله هادفاً تعليمياً وأيضاً توعوياً، وإن يحمل رسالةً هادفة، والشاعر المقاوم هو الذي يعلّم مخاطبيه أهمية الصمود والمقاومة في وجه الظلم الاستبداد الاستعماري. (جمعة، ٢٠٠٩: ٧٧) ومن مميزات شعر المقاومة هي السهولة في التعبير الكلامي وأيضاً وضوح الصورة فيه، ويصف خالد علي مصطفى متحدثاً عن ميزات الشعر المقاوم قائلاً: «كان الشعر المقاوم واضح القصيد واضح العبارة لايموه ولايعاضل مهما كانت وجهة التعبيرية» ،ثم يذكر له صفات أُخر وهي «إذ يكاد هذا الشعر يخلو خلوّاً تاماً من التأملات الذهنية والغموض النفسي المحيّر وشطحات الخيال والتساؤل المحض في معني الحياة والموت» أما فيما يخص التركيب وطريقة السرد فيقول مصطفى:«كما يخلو من غرابة التركيب اللغوي أو التعقيد في بناء القصيدة». (مصطفى، ٢٠٠٣: ٤٢)

٥. جواد الحطاب، نبذة عن حياته وأعماله

وُلد الشّاعر جواد الحطّاب في البصرة عام ١٩٥٠م. فهو «يعتبر من روّاد الأدب التّسجيليّ في العراق إذ سجّلت قصائده ما يتعرَّض له المواطن العراقيّ من فقر وقهر ومشقّة وتنكيل متواصل وهومن الشعراء السِّياسيّين المعاصرين المهمين في العراق».(بلاوي، ٢٠١٨: ٢٩٧) شغل الشاعر العديد من المناصب من أبرزها: نائب رئيس منتدى الادباء الشباب، ورئيس تحرير أول مجلة ثقافية شاملة - مجلة أسفار، والأمين العام لأدباء وكتّاب العراق في تسعينيات ماضية، ورئيس تحرير أول جريدة ثقافية متخصصة (الزمن)، ورئيس تحرير جريدة (الاتحاد) الصادرة عن اتحاد الصناعات، ورئيس تحرير جريدة (السلطة الرابعة) بعد السقوط، ورئيس تحرير جريدة (المربد) لعدّة دورات، كما كان عضواً لاتحاد الأدباء والكتّاب في العراق، وعضو اتحاد الكتّاب العرب، وعضو نقابة الصحفيين العراقيين، وعضو اتحاد الصحفيين العرب، وعضو منظمة الصحافة العالمية، وقد ساهم في تأسيس العديد من المنتدَيات والمطبوعات والصُّحف الثّقافيّة وشغل رِئاسة تحريرها.

يُعتبر ديوانه "إكليل موسيقى على جُثَّة بيانو" أوّل ديوان شعري مقاوِم للاحتلال ولشاعر من داخل الوطن العراقي؛ وقد تعرّض بعد صدوره لأكثر من محاولة اغتيال؛ ووضعت تحت سيّارته عبوّة ناسفة. كانت الصحف الأردنية والمواقع الأدبية العربية تنشر نصوصه وتضع تحت اسمه "شاعر المقاومة العراقية" (النصير، ٢٠١٩: ٣٧) وتصنّفه الدّراسات النّقديّة بأنّه من "الموجة الثّانية" لشعر السّبعينيّات فقد قيل عنه إنّه «شاعر عصيٌّ على التّجييل كما وُصف بأنّه شاعرٌ من سُلالة المتنبّي الباقيَّة واعتبر واحداً مِن أهمّ شُعراء العراق المعاصرين».(سرمك، ٢٠٠٨: ١٦٢)

كان الحطاب غزير الشعر وقد يرجع سبب ذلك الى كثرة مآسات العراق والعالم العربي التي استدعت الشاعر إلى إنشاد العديد من الدواوين. ومن أبرز دواوينه: "سلامًا أيُّها الفقراء": صدر في بغداد عام ١٩٧٨م عن وزارة الثّقافة والفنون؛ "إنّه الوطن إنّه القلب": صدر في بغداد عام ١٩٨١م عن دار الجاحظ للنّشر؛ "يوم لإيواء الوقت": صدر في بغداد عام ١٩٩٢م عن دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة؛ "شِتاء عاطِل": صدر في عمان/الأردن عام ١٩٩٧م عن دار الأزمنة؛ "يَوميّات فندق ابن الهيثم": صدر في بغداد عام ٢٠٠٢م عن دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة؛ ديوان "إكليل موسيقى على جُثَّة بيانو": صدر في بيروت عام ٢٠٠٨م عن دار السّاقي؛ "بروفايل للرّيح...رسم جانبي للمطر": صدر في بيروت عام ٢٠١٢ عن مؤسّسة شرق غرب للنّشر؛ "قربها أم ربيئة وادي السّلام":صدر في بغداد عام ٢٠١٦م عن دار الفراهيدي. (الحطّاب، ٢٠١٢: ٢)

من النبل الأدبي العالي أن ينتج الأديب شعراً مقاوماً في زمن الحرب، لاسيما إنّها الحرب الوحشية الدائرة بين رحى الاحتلال الأمريكي الغربي والشعب العراقي، فالكتابة في مثل هذا الموقف العصيب هي موقف شجاع يصبح فيها الشعر مغامرة بطولية. (خليل، ٢٠١٢: ١٥)

١,٥. سمات شعر الحطاب

أهمّ ما يمتاز به شعر الحطاب هو إدهاش المتلقي بالصورة أو الفكرة المألوفتين من حيث لا يتوقع، فينقلهما من مستوى الألفة إلى مستوى الغرابة، وهي صناعة لا يقبل عليها، فينجح، غير شاعر قادر وهكذا فإنّ نص الشعر العربي لدى الشاعر بدا ينزاح خارج السياقات المعهودة، ولعلّ ذلك سبب أساسي في تطور البنية الشعرية عند الشاعر فالشاعر يكتب القصيدة بتمرّد وإمكانية عالية تفوق الكثيرين من الشعراء، إن كانوا من مجايليه او الذين سبقوه، بل انه اتكأ على بناء جديد في هيكلية القصيدة، فاجترح شكلاً جديداً للشعرية، وليس للقصيدة. (بلاوي، ٢٠١٨: ١٧٤) فالحراك الشعري لدى الحطاب يذكّر القارئ بالفتح الشعري الذي قاده في أواسط أربعينيات القرن الماضي "بدر شاكر السيّاب" حيث تغيّرت خارطة الشعر، وصدوره بهذا الوقت: إيقاظ لنا نحن الأحياء الأموات من سبات عميق. كما يعتبر الحطاب من روّاد قصيدة النثر في العراق فقد كان أحد أهم مبدعي قصيدة النثر في العراق، لا يحيط بإبداعه الشعري جيل واحد، بل: هو أكثر من جيل، وأكثر من صوت في جيل واحد. (سرمك، ٢٠٠٨: ١٥٤) كما تميزت قصيدته بأنّها قصيدة حداثية مرنة، قادرة على استغراق السياق الجديد المؤسس، منذ جيل التحوّلات الفنية الكبرى، في خمسينيات القرن المنصرم.

ومن سمات الشاعر أيضاً المرواغة في شعره فنصّه الشعري مراوغ، يقول ما يريد بلغة أعلى من مستوى فهم الرقيب العام الذي لا يعي قوانين اللعبة الجديدة في عصر كاتم الصوت والعبوات اللاصقة، وتصفيات الجسد. كان الحطاب لا يريد إثارة دهشة جمهوره، بل كان يسعى ليبعد عن قلوبهم أرانب الخوف والخنوع، وإذا ما كانت القصيدة تبدأ بكتلة في الحنجرة، كما يقول فروست، فهي عند الحطّاب تبدأ بألم في القلب، وحسرة في النفس، ولوعة في الروح. وبصورة عامة فإنّ الحطاب شاعر مختلف في معظم أشيائه، بدءاً بالنسيج، وانتهاءاً بفلسفة النص، وهذا الاختلاف لم يكن راهناً زائفاً، تماشياً مع ظرف وحالة مفروضة، أو مخالفة ليس إلّا، إنّما كان قريناً لفطرته الشاعرة.

فضلاً عن قضية العراق نرى لدى الشاعر ملامح الشعر الإنساني فشعر جواد الحطاب، تجربة خلاقة بالمعني الكامل لكلمة "تجربة" وذلك واضح للعيان من خلال نوعية شعره الممتلئ إنسانيةً منذ سلامه على وإلى "الفقراء" بمجموعته الشهيرة "سلاماً أيها الفقراء"، .. وعيٌ شعريٌّ يؤكِّد انتماءه بقوة للإنسان ويعلن صراحة أنه يعمل معه، ومع قضاياه، ومع همومه، مع تطلُّعاته وطموحاته، ولأنه وعى ورأى، فهو "لوركا" عصره بما يمتلكه من حبٍّ حقيقيٍّ وقلبٍ يتسع للعالمين. فمنذ ديوانه المبكّر الأول "سلاماً أيها الفقراء" المطبوع عام ١٩٧٨ نجد هذا الانتماء إلى الإنسان المستلب لإعلاء قيم الحرّيّة ولحياة والحب، في مواجهة الاستكانة. (النصير، ٢٠١٩: ٤٢)

في ما يتعلق بأسلوبه الشعري فشعر الحطاب يحفل بخصائص أسلوبية تميّزه عن غيره، سواء فيما كتب من شعر التفعيلة، أو قصيدة النثر فقد اختطّ الشاعر لنفسه نهجاً شعرياً خاصاً أسلوبياً وموضوعياً، يتجلّي في لغة جارحة وخيال تصويري مفعم بالحيوية مع مزاج ساخر لا تخفى سوداويته على قارئه، بل ربّما كانت سخريته الدامعة هي امتيازه اللامع هي امتيازه بين الساخرين من شعراء الحداثة. (خليل، ٢٠١٢: ١٨) كما يمتاز معجمه الشعري بسهولة البناء ودقته، وعصيانه على الترويض، وهو ينطوي على مفردات خاصة، وجُمَل تتناغم مع مفردات العصر الجديد، بصراعاته وطقوسه، ويوميّات الحزن فيه. (البستاني، ٢٠١٢: ٢٧١)

٦. البحث والدراسة

تنعكس المقاومة ومظاهرها في شعر جواد الحطاب في عدة محاور أساسية منها:

١,٦. تعرية الأجرام المحتل

انعكست ملامح الإجرام الأمريكي في شعر جواد الحطاب كثيراً فقد صوّر القمع الفضيع والمعاناة التي عاشها الشعب العراقي في ظل الاحتلال الأمريكي في قصائده العديدة وكثيراً ما كان يركز على جوانب القصف والتفجير والقمع والاختناق ويدعو للانتفاضة على الواقع المرّ. ويتجلى الإجرام الغربى في نمطه الأمريكي في قول الحطاب:

إبراهيم آخر/عَماذا تَبحث يا إبراهيم/باحث عَن إبراهيم/لمَاَ جَنَّ علينا القَصف/رأينا طائرةً قُلنا هو ذا الرَّب/فَلَمَّا ضَربَتنا/قُلنا نَحن برَاء/حَاشا أن يُنزِل فِينا الرّبُ كِتابَ قَنابِلِهُ/فَوقَ سَنام الغَيم (الحطاب، ٢٠١٨: ٢١)

هُنا يَستعيرُ الحطاب حكاية ابراهيم عِندما قَام بكسر الأصنام فيمثله في العصر الحديث وهو يعبد الإله الأمريكي إلا أنّه بعد أن تساقطت عليه القنابل الأمريكية أدرك أنّ السلطة الامريكية ليست إلهه يستحق التعظيم بل عليه أن يهدمها كما تُهدم الأصنام وإذا أردنا أن ندرك خلفيات النص الشعري لابُدّ لنا من العودة إلى سورة ابراهيم اذ يقول:(وَإِذ قَالَ إبراهِيمُ لِأَبِيهِ أزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَومَكَ فِي ضَلَال مُّبِين * وَكَذَٰلِكَ نُرِى إبرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰاوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ ٱلَّليلُ رأى كَوكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلأفِلِينَ * فَلَمَّا رأى ٱلقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفلَ قَالَ لَئِن لم يَهدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلقَومِ ٱلضَّالِّينَ * فَلَمَّا رأى ٱلشَّمسَ بَازِغَة قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكبَرُ فَلَمَّا أَفَلَت قَالَ يَٰقَومِ إِنِّي بَرِيء مِّمَّا تُشرِكُونَ) (ابراهيم، ٧٤-٧٨) وكذلك آيات سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فَقالَ أَلا تَأْكُلُونَ * ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ * فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) (الصافات/٨٨-٩٤)

وهذه الآيات ترسم لنا قصة النبي ابراهيم عليه السلام وكيف قام بِتكسير الأصنام بعد أن اكتشف عدم ألوهيتها وهذا ما استدعاه الحطاب من خلال التناص إذ صوّر ابراهيم الذي هو رمز للشعوب العربية في العصر الراهن وهو يأله السلطة الأمريكية نظراً لقوتها الظاهرية إلا أنّه بعد أن اكتشف إجرامها في حقّ الشعوب في عمليات تفجير وقصف المدن والناس، أدرك خطأ رؤيته السابقة فسعى إلى مجابهة الأمريكان وهدمها كما هدمت الاصنام وممّا يلاحظ أنّ الشاعر في استدعائه للنص التاريخي القرآني أجاد إذ إنه استدعى حكاية إبراهيم في ملامحها القديمة من مثل العبادة وكسر الأصنام إلا أنّه أضاف إليها ملامح جديدة من العصر الراهن إذ إنّنا نرى إبراهيم يعبد الأمريكان بعيداً من الأصنام القديمة وهو يعاني من تساقط القنابل وهكذا مزج الشاعر بين القديم والحديث وأضفى على شخصيته التاريخية ملامح حديثة شهدت على جودة شعره.

ثم في المقطع التالي يواصل الحطاب صورته فيُبيّن أسباب انتمائه السابق لأمريكا فيقول:

رأينا نَصباً/فَتاملناهُ قُلنا رب أوحد في جِنسِهِ/هذا التِمثالُ الصَّامِت في الظاهر/شبه المندَهِش المكتئب المتَوتر والمملوء صُراخاً/الأكثرُ ذُعراً مِنّا قُلْنا/هذا الرَّبُ جميلٌ لا عيبَ فِيهِ سوى أنَّهُ يَحملُ مَعنى أمريكا/شَاهدنا الجنرالات يضعون بِشرجِ التِمثالِ قِطعة نَقد/فَيُقدم شَعباً مَقصوفاً بالسلوفانِ/قُلنا رَبٌ يَعرض للجنرالاتِ مُؤخرتَهُ ليسَ بربٍ هذا رَبُّ الحربِ الأتوماتيكى (الحطاب، ٢٠١٨: ٢١)

إنَّ الشاعر والشعوب الإسلامية شاهدوا السلطة الأمريكية فستعظّموها فقد بدت وكأنها ربّ لا نظير له بفعل قوتها إلا أنّهم اكتشفوا بعد إمعان النظر فيها بأنّها خاوية ومجرد شعارات زائفة وهي تخشى العالم والشعوب لذا تقوم بقصفها لذا فهي لا تستحق العبادة والإتباع وإن جيشها يقتات من خلال العمليات العسكرية ودم الشعوب.

وهنا نلاحظ أنّ عبارة "التمثال الصامت والربّ" يرمزان إلى استعباد الأمريكان للدول وذلك لا ينبغي فهو ينصح الشعوب بأن تنتفض على واقعها المزرى وتحرّر نفسها من السلطة الأمريكية كما أنّ عبارة "شاهدنا الجنرالات يضعون بشرج التمثال قطعة نقد فيقدم شعباً مقصوفاً" تكشف عن الفساد الاقتصادي المتفشي في الجيش الأمريكي إذ إنّه يتحكم وفق مصالحه الاقتصادية ولا يقيم لحقوق الإنسان والشعوب أيّ قيمة وإنّما هي شعارات زائفة يُطلقها ويعمل عكسها.

وعندما يصوّر الشاعر الحصار الأمريكي المفروض على العراق يُجسده بصورة رهيبة إذ يقول:

حصار/مُخْتَنِق مُخْتَنِق مخْتَنِق/عَشرُ رئاتٍ لا تَكفِيني (المصدر نفسه: ٣٦)

هنا نشاهد الشاعر ومن ورائه الشعب في حصار خانق فهو مختنق وعشر رئات لا تكفيه ممّا يدلّ على جريمة الحصار المفروض على البلد فبات لا يتنفّس فضلاً عن حرمانه من الطعام والشراب فقد أصبح مهدداً في حياته.

ويُلاحظ هنا أنّ تكرار مفردة "مختنق" ثلاث مرّات في المقطع أكّدت قسوة الحصار كما أنّ عشر الرئات تدلّ على مدى الضيق الذي يَشعرُ بهِ الشاعر وشعبه جراء الحصار وهكذا جسّد الحطاب أوضاع العراق وحصاره المهلك في هذا المقطع الشعري.

وكذلك يجسّد الشاعر الإعلام الأمريكي وهو يسخّر ويلعب على جراح الشعوب:

الحَيزبون/على جثَثِ العراقيين عَرض التِلفاز/مَشاهِد لمسؤولةٍ أميركيةٍ وَهي تَرقُص فَرحاً/تَرقُصُ الحَيزبونَ على دَمِنا/ترَقص الحيزبون/يَداها علاماتُ سَيرٍ تُشيرُ إلى مقبرةٍ/يَداهَا مُضرجتانِ بِحقدٍ قَديمٍ/أمانت تُشيل الصُخور/لأهرامِ مِصر/أيَعرفها سبي بابل/أم هي مِن أهلِ خَيبَر/خَطيبةُ ابن مُلجم/زَوجَة شمِر/تَيمور لَنك (المصدر نفسه: ٥٨)

نُشاهِدُ المتحدثة بإسم الحكومة الأمريكية وهي تتحدث بسرور عن انجازات بلدها في الشرق الأوسط والعراق فإذا هي عمليات قصف وقتل وتعذيب فهي ترقص فرحاً أمام الإعلام ولا تَعبأُ بالدمِ المراقِ والمجازر والمقابر فهي مجرمة بامتياز وكأنّها يهودية أو زوجة ابن ملجم أو تيمور لنك فهي تفرح لمآسي المسلمين وتبتهج بمعاناتهم.

ويُلاحظ هنا أنّ الشاعر استدعى ضمن حديثه عن المذيعة الأمريكية الكثير من الشخصيات المجرمة من مثل زوجة شمر قاتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وتيمور لنك ويهود أهل خيبر وهو بذلك يشير إلى حقدها الدفين وكرهها للعالم الاسلامي وقد جمع الشاعر الكثير من الرموز والشخصيات التراثية ليؤكّد فداحة الجرائم الأمريكية كما أنّ النص يتضمن دلالة خفية فهو يرمز لشخصيات خفية في باطن النص من مثل الإمام علي (عليه السلام) والذي يرمز للشعب المضطهد ما يفهم ذلك من خلال عبارة "زوجة ابن ملجم أو من أهل خيبر" وكذلك شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) رمز للشهيد في قوله (زوجة شمر). وهذا الاستدعاء خفي يستوحي من النص وهو يشهد على سعة خيال الشاعر وبراعة تصويره الفني.

ثمّ في المقطع التالي يعدّد الجرائم التي ارتكبها الطغاة الأمريكيون في حقّ الشعب العراقي:

كُلُّ متر مُربع في كَفِّها ظُلماتٌ وَقَتل/اسالوا دم لوركا/هي مَنْ وَضَعَ السيف/في كَفِّ قَاتلِ بوشِكين/هي مَنْ خَضبت سانتياغو بأصابعِ فيكتور جارا/هي مَنْ ملأتْ الرَّصاص مسدس حاوي/وهي مَنْ تَقتلُ الآن مِليون طِفل عراقي/يَداها مُضرجتانِ بِحقدٍ قَديم/اتثأر من سَبي بابل/احترقها أذرع الجاملين مشاعل أهرام مصر/أم أنَّ بابا لخيبر في نفسها لَمْ يَزَلْ خَرِبا/هذهِ الحيزبون طويلاً سَتنبح وَجه القَمر/أهلنا يَسقطون وَاقفاً ولا يَنحنون/سوى لالتقاط حَجر (المصدر نفسه: ٥٨)

إنّ الأمريكيين قَدْ ارتكبوا شتى الجرائم واتسعت مجازرهم على طول البلاد وعرضها فلا تجد متراً مربعاً إلاّ وفيهِ ضحايا من البطشِ الأمريكي فهم قد أسالوا دم لوركا وبوشكين وفيكتور جارا وخليل

حاوي وقد قتلوا مليون طفل عراقي فأيديهم مضرجات بالدماء وكلّ ذلك بدافع الانتقام لحقد قديم يهودي فهي تنتقم بواقعة خيبر إلا أنّ كلّ محاورهم وبطشهم يبوء بالفشل فهو بمثابة النباح على القمر فشعبنا العراقي والعربي لا يموت ولا ينحني الا ليلتقط الحجر كي يضرب به العدو. وهنا نشاهد عدة ملاحظات بلاغية فشخصيات تاريخية معاصرة كثيرة حاضرة في النَّصِ منها وهي بمجملها ضحايا قتل وإرهاب من مثل بوشكين ولوركا وفيكتور جارا وخليل حاوي وهذه الشخصيات ذات ملامح أدبية سياسية مقاومة وقتلها يرمز إلى سعي السلطة الأمريكية إلى طمس المقاومة والانتقاد وترادف الشخصيات ذات الدلالة الواحدة تؤكّد مدى الإجرام. ثمّ في الأسطر التالية نشاهد حديث سبي بابل وحادثة خيبر ليرمز بذلك إلى الحقد الغربى التليد فهم يكنّون الحقد للعالم الاسلامي منذ آلاف السنين وكأنهم ينتقمون لواقعة خيبر وسبي بابل وهكذا فإنّ الشاعر يُبيّن الدوافع الرئيسية التي حفزت الأمريكان إلى ارتكاب هذه الجرائم الفادحة فهي تصدر من نفس انتقامية حاقدة تجذر فيها البغض منذ عشرات القرون وهي اليوم تسعى لتسوية الحسابات وهكذا فإنّ الصراع اليومي هو صراع حضاري بين العالم الاسلامي من جهة والعالم الغربي اليهودي الصليبي من جهةٍ أُخرى.

ويؤكّد الحصار الأمريكي أيضاً في قصيدةِ اختناق بقولهِ:

اختناقْ/مَسَّنِي عَقْلي فارتقيتُ إلى الجنونِ/الشوارعُ شَيقة/المنازلُ أضيق/المنازلُ أصغر/والأشجارُ أقصرُ قامةً مِمّا يَجب/ادفعوا عني أبو غريب قليلاً/أُريدُ أنْ أُمدد قَلبي (المصدر نفسه: ٨١)

الشَّاعرُ يَشعرُ بالاختناقِ حَتَّى أَنَّهُ مسّ عقله وأفضى به الجنون وباتت الشوارع ضيقة والمنازل أضيق والشجر أقصر قامة بعد أن قامت أمريكا بزج الناس في سجن أبوغريب وحاصروا الشعب في الوطن العراقي فهو يبحث عن خلاص لهذه الازمة.

نلاحظ هنا مفردات الاختناق وضيق الشوارع والمنازل يدلّ على مدى ضيق الحصار إذ إنّها تؤكّد معنى واحداً بعبارات متعددة كما أنّ قصر طول الشجر يَرمزُ إلى انحناء المقاومين قَليلاً وهذا ممّا لا ينبغى فَقَد حاصرت أمريكا الشعب ودجنته في السجون لذا فعلى الشعوب أن تنتفض وتخرج من إطارها المرسوم وسجنها وتتمدد طموحاتها فتنجز المستحيل، كما نلاحظ فإنّ أبوغريب هو سجن عراقي وهنا أصبح يرسم واقع العراق أجمع وتمدّد القلب كناية عن تحقّق الطموحات والآمال والخلاص من السلطة الأمريكية.

وعندما يتحدث الشاعر عن سجل الخيانات الدولية فى حقّ العرب والعراق وتواطئ تلك الدول مع أميركا في منح قواعدها العسكرية والدعم اللوجستي يشرح بعض جوانب الجرائم المرتكبة:

أمريكا/أمريكا/أمريكا سَيبولُ الشَّرقُ على دُولارتِ نَسائِك/لَنْ نُصْبِح بَعدَ اليوم قُرباناً/أمريكا/أمريكا/تُونى بِلير أعطاكِ صَواريخَهُ/باكستان أعطتكِ قَواعِدها/الخَو..نَة أعطوكِ

تَضامُنَهم/فَبِماذا نُسمِّهِم نَحنُ؟/نَرجوكِ/خُذي أكفان مَنْ لَمْ تَقْتُلي بَعد/نَرجُوكِ خُذي جُثَثَ الأزهار المَسحُوقة بالدباباتِ/بِصواريخِ كُروز/بِتوماهوك/بقذائفِ بي/شكراً نَحنُ جِياع العالم (المصدر نفسه: ٥٢)

يُخاطِب الشَّاعرُ أمريكا المجرمة بقوله: إنّ شعوب العالم ستقوم بإهانتك وإذلالك وتتحرر من قيودك ولو ساعدت الدول الخائنة بالدعم من مثل بريطانيا وباكستان وقد أدّى ذلك إلى حدوثِ مجازر رهيبة وسحق الناس بالدبابات والقصف والصواريخ والقذائف حَتَّى قضت على كلّ جماليات الحياة.

هنا نلاحظ عدة ملاحظات فنية فالشاعر فى عبارة "خو..نة" يمدّ الكلمة من خلال نقطتين وهو أسلوب كتابة يُوحي الشاعر من خلاله إلى استمرار وفداحة خيانات الدول العربية والأجنبية في دعمِ الأمريكان، كما أنّ تقديم الأكفان للأمريكان كناية عن استعداد العراق والشعوب العربية لمزيد من المقاومة لذا فهم يقدمون أكفانهم رمزاً للمقاومة أو قد أراد من خلال تقديم الأكفان أنّ الشعب العربي بات اليوم لا يملك أمام رحى العدو إلا الأكفان وليس لديه أيّ سلاح فهو لا حيلة له لمواجهتها كما أنّ الأزهار رمز للشعوب العربية والعراقية التي لقيت حتفها جراء الإجرام الأمريكى ثُمَّ في الأخير يشكر الشاعر الأمريكان من باب التهكّم والسخرية فالشكر يحمل دلالات التنديد والشجب والاستنكار فى واقع الأمر.

وللشاعر قصيدة بعنوان "الصواريخ" يعدّد فيها أبعاد مآساة الاحتلال إذ يقول:

قِفوا/إنّه من المستحيل أن أتحدث إليكم ما لم تقفوا/أطفالنا يلبطون في اليورانيوم/كأسماك زينة ملوّنة/مذكراتنا مع غُرف الإنعاش/ذهبت سدى (المصدر نفسه: ١٠٠)

ينادى الشاعر السلطات الأمريكية بالكفّ عن إجرامها فمن المستحيل أن يجدي التفاوض نفعاً في حال أنّ الطائرات مستمرة في دك المباني فالأطفال قد أصيبوا بالسرطانات من كثرة اليورانيوم المستخدمة في القصف حتى شوّهت خلقة الأطفال وصعبت حياتهم في غُرف الإنعاش ولم تجدي محاولات الأطباء في إحيائهم نفعاً.

هنا نرى جانب خطير من الجرائم الأمريكية وهو استخدام اليورانيوم الذي يستعمل للقنابل النووية في ضرب بعض أحياء العراق وهي جرائم حرب محظورة من قبل الأمم المتحدة إلا أنّ الأمريكان قد تخطّوا كلّ حدود القانون الإنسانية.

ثمّ في الأبيات التالية يصوّر جانباً ثانياً هو قصف ودكّ القاذفات والطائرات للمبانى:

في برَدِ الصواريخِ طلبنا موتاً على قياسهم/فزوّدتنا الطائرات/اضطَرَرنا أن نَحشرَ الآباء والأمهات أيضاً/فمن المخجلِ أن يَدخلَ أطفالُنا الجَنَّةَ وَهُم مُصابونَ بالزكام/سماءٌ ملونةٌ

بالطائرات/لَيلةُ قَصفِنا رَثينا للطيارينَ حَقّاً/فَقَد ظَهروا في المؤتمرِ الصحفي/وَكأَنَّهُم يُعانونَ مِنَ الصحةِ (المصدر نفسه: ١٠١)

الشعبُ العراقي عندما ناشدت الأمريكان بالكفِّ عَن الجرائمِ قاموا بتزويده بالطائرات ممّا أدّى إلى قتلِ النساء والرجال فضلاً عن الأطفال وأصبحت السماء مكتظة بالطائرات القاذفة إلاَّ أنَّ الإعلامَ المسموم كانَ يساند المجرمين ويرثي لحالِ الطيارين وبذلك فإنّ المؤتمرات الصحفية والإعلام يعتني بالقتلة بدل أن يعتني بالضحايا.

ثمّ في المقطع الثالث يُجسّد المعاناة التي يُقاسيها الشعب إثر القصف فيطلب من المنظمات الأُممية والإنسانية المعنية بالشوون الطبية بأن تساعده بالدعم العسكري بالسلاح بدل العلاجات:

أيّتها الممرضة اطليني بدهان ضدّ الزنجار/فماذا يفعل الميكروكروم لجسدي الموغل في الشظايا/الشظايا تلبسنا لتسترعيها/أيّتها الزائرة لا تجلبي فاكهة اجلبي شاشاً وقطناً/أيّها الزائر لا تَطرد الذباب عن الجرحِ/طرد الكوابيس أجدى/أيّها الطبيب لا تعطنا حبة إمساك النبض/إعط الطائرات أولاً/حُبوبَ إسهال/الطِّفلُ رأى القمرَ/بِثَوبِهِ الأبيض بِلحيتهِ البَيضاء/فاشْتَهى الحَليب والملائكة/غَير أنَّ القُنبلة/اركبَتْهُ طائرة (المصدر نفسه: ١٠٦)

على الممرضات والأطباء أن يمنحوا الشعب المقصوف بما يمنع القصف وليس العلاجات الطبية فماذا تُجدي العلاجات بعد كثرة القصف والشظايا في الأبدان وكذلك على شعوب العالم التي تتضامن معنا أن يقدموا دعماً يُنهِي الكابوس الأمريكي ويمنع الطائرات مِن القصفِ والقضاء على الأطفال.

هنا نشاهد عدة ملاحظات بلاغية فيقول الشاعر "الشظايا تلبسنا لتسترعيها" يصوّر الأمريكان التي تقصف الشعوب بهدف طمس المقاومة وبذلك إخماد المعارضة بدل إعطائها الحقوق كما ان الكوابيس استعارة عن الإجرام الأمريكي وممارساتها البشعة في حقِ الشعوب كما أنّ تصوير الطفل بلحية بيضاء يدلّ على فداحة المصاب حتى أنّه شاب من هول المآسي ونبتت له لحية بيضاء.

كذلك يصوّر الشاعر شدة القصف من خلال حوار طفل مع أمّه إذ يقول:

- أمي الملائكة أكثر أم الطائرات/- الملائكةُ طبعاً/- ألم تقولي ملكان على كتفيك؟/- هذا صحيح/- لكني أرى فوق رأسي عشرات الطائرات/فكيف؟ (المصدر نفسه: ١٠١)

يسأل الطفل أمّه هل إنّ الملائكة أكثر أم الطائرات فتجيبه الملائكة فيتسائل عن سبب انصباب القذائف الفتاكة على رؤوس الناس ولم يتلقى جواباً.

في واقع الأمر فإنّ الشاعر هنا يستدعي إحدى المعتقدات الدينية الشعبية تتمثل بإحاطة الملائكة للإنسان بهدف كتابة أعماله ثمّ ينتقضها من خلال تصوير الطائرات القاصفة التي لا تؤدي بحياة الناس دون أن تردعه الملائكة.

كما نرى الشاعر بعض الأحيان يستصعب شرح وبيان الجرائم الأمريكية فيقول:

ما أصعب أن تضطر لشرح الموت/من شهد منكم الدمع فليقتله/هذا وطن مفتوح للمفاجئات والدهشة (المصدر نفسه: ١٠٧)

إنّ من أصعب الأمور أن يشرح الإنسان الموت لذا يتوجب على الشعوب أن تكفّ عن البكاء والاسترحام لأنّ البلد بات موطن المفاجئات العسكرية وأنّ أدوات الموت وأنواعه باتت تثير الدهشة.

هنا نشاهد في عبارة "من شهد منكم الدمع فليقتله" تناصاً دينياً مع الآية القرانية (من شهد منكم الشهر فليصمه) (البقرة/١٨٥)

إذ إنّ الله تعالى يأمر بصيام الشهر وإقامة الحدود والشاعر يأمر بالكف عن البكاء وخوض النضال حتى كان ذلك أمراً شرعياً دينياً لابُد من إجرائه شأنه شأن الطقوس الدينية الواجبة.

٢,٦. الدعوة إلى الكفاح

من أبرز قصائد الدعوية الثورية للشاعر جواد الحطاب قصيدته بعنوان "الزنزانة" وهو يتصور فيها الوطن في ظلّ الاحتلال الأمريكي بالزنزانة يؤكّد على ضرورة الانتفاضة والثورة ضدّه؛ يقول الشاعر في مطلع القصيدة:

زنزانتا رَحم/زنزانتا رَحم زنزانتنا مُتَدينة جِداً/لا تُؤمِن بِمسائِل تَحديدِ النَّسل/لَمْ تَأخذ يَوماً حَبَّةَ مَانِع حمـــل/نحن الأبناء الأكثر من جيش مليك خائف (الحطاب، ٢٠١٨: ١٦)

إنّ زنزانة الوطن على الرغم من أسرنا إلا أنّها تجمعنا معاً وهي تجمع المواطنين في مكان واحد وكلّ يوم تكثر من الأسرى. وهذا أصبحنا نحن أكثر من سلطات السجن. فهنا لابد أن يخشانا بدل أن نخشاه. وهنا يلاحظ أنّ الشاعر يستخدم صورة الرحم للسجن ليشير إلى التربية العقائدية والسياسية المؤمنة بحبّ الوطن وتحرّره كما هو حال الأطفال الذين يتربون في أرحام أمهاتهم كما أنّ الإشارة إلى أنّ سلطة السجن لا تُؤمن بتحديد النسل أي إنّها تكثر من السجناء ولم تراعِ في ذلك حدّاً فهي تداهم المواطنين وتأسر منهم أعداد غفيرة.

ثمّ في المقطع التالي ينوّه الشاعر إلى أنّ الزنزانة قد شكّل موطناً واحداً لكلّ الأسرى لذا عليهم الاتحاد في وجه السلطات الجائرة:

تَنْجبنا الزنزانةُ في طلقٍ واحد/يا أولادَ الزنزاناتِ اتَّحِدوا/فالزنزانةُ أمّ/فالزنزانةُ والد (المصدر نفسه: ١٦)

إنّ الزنزانةَ باتت موطناً للشعب العراقي فعليهم أن يتحدوا فالسجون بمثابة الأب والأم لهم وتصوير الزنزانة بالأبِ والأم إنّما يأتي بفعل التعاطف والتعاضد الذي يحصل عليه الأسرى من قبل السجناء الآخرين وانّهم تساندوا وتكاتفوا في وجه الطغاة.

كما أنّ الشاعر في قصيدة "ثوم على الأمة" يُندّد بالخطابات الجوفاء التي يردّده الشعراء والمناضلون دون أن تغيّر الواقع المأساوي الذي يعيشه الناس:

ثومٌ على الأمةِ أيّها الشُعراء العراقيون/يا مَنْ تجوبون الآن شوارع العالم/ثوم على أيامِكم/ثُومٌ على الأمةِ (المصدر نفسه: ٢٤)

تعساً للأمة العربية والعراقية التي تجوب الشوارع وتتسكع دون أن تثور على الواقع المزري ويلاحظ أنّ الشاعر يكرّر كلمة الثوم وهو رمز سلبي لدى الشاعر أي تعاساً للأمة وقبحاً لها وهكذا شأن التخاذل العربي فإنّه قد انتشرت أخباره السلبية في العالم.

أديروا الستلايت قليلاً نحو بغداد/لا تَسألوا الصَليبَ الأحمر الدولي/وهل يخلى الجثث؟/لا تسألوا عَن التَفَسخِ/لا تَسألوا عَن الأوبئةِ (المصدر نفسه: ٢٥)

ثمّ في المقطع التالي يرجو من الشعب والمثقفين أن يهتم بقضية العراق دون المصالح الشخصية:

أيّها الثوريون ماذا أفعلُ برأسِ المال/حين يكون رأسُ وطني مطلوباً/أيّتها المعارضة ماذا أفعل بإذاعة المستقبل/وحاضر أطفالي محكوم بالموتِ/يا أصحابى كتاباتك عن الزمن الأبيض جعلتنا نستنسخ أرغفة سوداء. (المصدر نفسه: ٢٦)

أيّها الثوار ماذاأاصنع برؤوس الأموال والثورات عندما يكون رأس الوطن مذبوحاً وماذا يفيدنا الحديث عن المستقبل المزدهر عندما يكون واقعنا تعيس. إنّ حديث الساسة والثوار عن المستقبل الزاهر جعلنا نتورط في المآسي أكثر.

ثمّ في المقطع التالي يدعو الشاعر الثوار والإذاعات إلى الاهتمام بمصير الشعب العراقي:

أديروا الستلايتَ ليلاً في الصحراء/شَعبٌ يبحثُ عَمَّا خَلَّفَهُ الْجند مِن المعلبات/ثُوم على بي بي سي/مليون طفل يَمصونَ أصابِعَهم خَوف الجَفاف/من قبلُ أعطى الحسينُ ولدَه علي الأكبر لِسانَهُ لَعَلَّ قطعة الخَشب تَكونُ مَنداة/كم حسيناً يَحتاجُ أطفالَ العراق الآن (المصدر نفسه: ٢٦)

يَتَوجَبُ على الإذاعاتِ والعالم أن ينظرَ إلى ما حَلَّ بالعراقِ حَتَّى استحال كالصحراء القاحلة فالشعب بات يبحث عن لقمة العيش في المعلبات ويقتات على فضلات المحتل فتعساً للإذاعات فهناك ملايين الأطفال لا يجدون طعاماً يغذّيهم ولم يكن الحسين عليه السلام ليغذّيهم كما غذّى ابنه. أترى كم يحتاج العراق من أمثال الحسين عليه السلام كي يغذي أبنائه الجائعين؟

هنا نلاحظ أنّ الشاعر يتسدعي شخصية الحسين عليه السلام وهو رمز الثوار ليحثّ الشعب العراقي على الانتفاضة في وجهِ الظلم كما أنَّه يرى أنّ الأمريكان مارسوا من الجور ما لم ترتكبه

الطغاة الأمويون كما أنّ استدعاء الحسين عليه السلام وقصة إعطائه ابنه قطعة طعام، إنّما هو حثّ على التعاضد بين الشعب العراقي كما تعاطف الإمام مع ابنه عليهما السلام.

كما نرى إصرار الشاعر على المقاومة في قصيدة "الهمرات" إذ يقول:

الموتُ ثمَر مَوسمي/وبلادي الفصول الأربعة/بلادي بلادي لَيسَ لَديها فَرعٌ آخر/كي أتركها للأمريكان/بلادي الدمعة في الشفتين بلادي/الضحكة في العنيين بلادي/الرجفة في الرئيتن بلادي/والشهقة في الكفين بلادي (المصدر نفسه: ١١١)

هُنا نُشاهِدُ الموتَ وَهو مُنتشر في شتى أرجاء العراق فَهو مَنتوج الفصول الأربعة تزرعها الأمريكان بشكل موسمي إلا أنّ الدمار الأمريكي لا يخيف الشاعر فهو لا يمتلك وطناً آخر سواه كي يهاجر. لذا فالشاعر يرى وطنه في دموع المضطهدين وشهقتهم ورجفتهم وتصوير الدموع والشهقة والرجفة إنّما يُوحي بمعاناة الشعب العراقي في ظلّ الاحتلال. وإنّ اهتمام الشاعر بهذه الجماعات المضطهدة إنّما هو إيمان منه بضرورة المقاومة والتصدي للطغاة المحتلين.

ثمّ في الأبيات التالية يؤكّد وقوفه بجانب العراق ودفاعه عنه حتى الرمق الأخير مهما كثرت الأعداء وتكالبت عليه الأمم المحتلة:

ولو إنّ الكون قد جاء بجيش ملائكة واحتلّ بلادي قاتلتُ الكون/بلادي حتى لو كان لديها فرع آخر/لن أتركها للأمريكان (المصدر نفسه: ١١٠)

لو إنّ الكون أجمع جاء لغزو العراق بكلّ جنوده لما تخليتُ عن بلدي وقاتلتُ الغزاة أجمعين فالوطن هو بلد الإنسان ولا يمكنه أن يستقرّ في موضع آخر وهكذا شأن العراق فلا بديل سواه لذا فلن أتركه فريسة بيد الغزاة المحتلين؛ والشاعر بهذا الإصرار إنّما يُبين واجب الثوار والشعب العراقي في مكافحة المحتلين ودحرهم بكلّ ما يملكوه.

ثم يحذّر في المقطع التالي الأمريكان من مغبة عملياتهم المريبة وينذرهم بهزيمة:

مصابيح الهمرات مضاءة نهاراً/عماذا تبحث الهمرات وشمس بلادي كافية لإضاءة العالم/مصابيح الهمرات مطفأة ليلاً/لماذا تتخفى الهمرات/وعميان بلادي على مرّ الظلام ادلاء القمر (المصدر نفسه: ١١١)

إنّ سيارات الهمر العسكرية تشعل مصابيحها في النهار في حال العراق شمسهُ ساطعة لا تحتاج إضاءة كما أنّها تطفئ مصابيحها في الليل وذلك لتخويف الناس. والشاعر يحذّر الأمريكان أنّ تلك الممارسات لا تخفى على الشعب العراقي فإنّه سينتفض ضدّ الطغيان إذ إنّ أبسط الناس بات يدرك حقيقة الجور الأمريكي في العراق لذا فالشعب ينتفض وإن طال الأمد.

ثمّ في المقطع الأخير يتمنى الشهادة وتدمير الاحتلال الأمريكي:

حِيت تَمرُ الهَمرات أمامي/أشد قبضتي في جيبي/واحسدُ الديناميت (المصدر نفسه: ١١١)

عندما تمرّ الهمرات من أمام الشاعر أن يشدّ قبضته بحماس متمنياً أن ينفجر مثلما ينفجر الديناميت على تلك الهمرات؛ وهنا يلاحظ أن رغبة الانفجار فضلاً عن كشف رغبته في الشهادة إنّما توحي بمدى نقمته وحقده على القوات المحتلة فهو يجسد الديناميت لأنّه ينفجر وهذا ما لا يتوفر للشاعر لأنّه أسير القمع الأمريكي فقد بات مكتظّاً بالحقد حتى أنّه أشرف على الانفجار.

٧. تمجيد الشهداء

أنشد الحطاب بعض القصائد التي رسم فيها بسالة الشهداء والأبطال ومن أشهرها ثلاث قصائد، ومن بين تلك القصائد التي تطرق فيها الحطاب إلى قضية تمجيد الأبطال الشهداء قصيدة "كفارة بابل" التي يصف فيها بطولات أطفال العامرية في العراق فهو يهدي لهم القصيدة مسجّلاً فيها شجاعتهم بجانب سرد دموية للاحتلال الأمريكي؛ يقول الشاعر في مطلع القصيدة مصوّراً شهادتهم في الوطنِ العراقي:

وَمنْ قالَ لَكم ناموا بِفراشِ الوطن/أوقدوا النَّارَ مِن حَجَرين/وأحضنوا مَوتكم عِندَ بَردِ الغُروبِ/فالصواريخُ والعظماءُ المريبون في شرفاتِ الحروبِ/أعدموا مَلاعِبَ رُوما القديمة (المصدر نفسه: ٧٨)

يُخاطِبُ الشاعر هنا أطفال العامرية أنّ الإصرار على البقاء في الوطن هو الذي أفضى إلى هلاكهم فهم قد أوقدوا نار المقاومة لذا انهالت عليهم القوات المحتلة بالقصف في ختام الأمر حتى أنّ سماسرة الحروب وأباطرتها قد أطلقوا صواريخهم وأعدموا كلّ أطفال العامرية بقصفهم.

وهنا نلاحظ بعض النقاط البلاغية منها عبارة "ناموا بفراش الوطن" وهي تناص مع حادثة منام الامام علي عليه السلام في مبيت الرسول صلى الله عليه وآله وفي ذلك دلالة التضحية والشجاعة وهذا ما أراد الشاعر التعبير عنه كما أنّ "احتضان الموت" هو استقبال الموت والترحيب بالشهادة ممّا يكشف عن بسالة أهل العامرية كما أنّ "إعدام ملاعب روما" الذين اشتهروا بالبسالة والشجاعة يُوحي بإعدام الأبطال والشجعان.

ثمّ في الأسطر التالية نرى العامرية هي مسرح السباق الحربي ومشهد الجرائم اللانسانية:

فِيفا هي العامرية/وَتَناثَر تَصفيق أجسادنا في الدوربِ/كان النِّظامُ يُغَرِّمُ أهْلَ المعدومينَ ثَمَن الإطلاقات/فَلتَشكروا أمريكا/أمريكا الطَّيبة لَمْ تُطالب أهلَكم/بِتكلفةِ الصواريخ/صاروخٌ ذَكَر صاروخَةٌ أنثَى/عَقَدا القِران في الملجئ (المصدر نفسه: ٧٩)

إنَّ العامريةَ هي فيفا الجديدة إلاَّ أنَّها باتت مَسرحاً للحربِ بَدل الرياضة أي إنّ الدول الامبريالية باتت تنافس على ساحة العراق لقتل أهله وإهلاك ناسه إلاَّ أنّ هناك فرق بين النظام البعثي السابق الذي كان يغرم أهالي الضحايا ثمن الرصاص الذي قُتل به أبناءهم وبين الجيش الأمريكي الذي لم

يطالب أهالي الضحايا بذلك إلا أن يزاوج بين الصواريخ ولم يكتفي بإطلاق القليل من النار بل يكثر من ذلك.

وهنا نلاحظ بعض النقاط البلاغية منها أنّ الشاعر يستهزء في وصف الاحتلال الأمريكي بأنّه لم يطالب أهالي الضحايا بثمن الرصاص فيجسّده في صورة الرجيم إذ إنّه ارتكب ما هو أبشع من القتل ولم يعد فرق بينه وبين النظام البعثي سوى تغريم أهالي الضحايا ثمن الرصاص. كما أنّ عبارة "صاروخ ذكر وصاروخ انثى" إنّما يكشف عن كثرة إطلاق الصواريخ إلى أرض العراق حتى أنّ الإرهاب الأمريكي لا يكتفى بإطلاق النار القليل بل كثيراً ما يزواج ويكثر من القصف. كما أنّ عبارة "عقد القِران في الملجئ" يكشف عن فرح وسرور الجيش الأمريكي عند قصفهم الشعب العراقي حتى أنّهم يحتفلون مثل ما يحتفل الناس في الأعراس وذكر الملجأ يكشف عن خوف وخشية الشعب العراقي حتى أنّهم يسكنون الملاجئ والمخابئ خشية القصف الأمريكي المدمّر.

ثمّ في المقطع الأخير يشرح كيف أنّ الضحايا هم أطفال صغار لم يكونوا يشكّلون أي خطر على الاحتلال:

لَمْ يَبلغ الاطفالُ سِنَّ الحَفلِ/فَتَوهموا النِيرانَ ألعاباً/مِنَ الشقوقِ مِن النَّوافِذِ المُنصهرةِ أسئلتهم مَدَّتْ رَأسَها/أقبلوا العالمَ على مؤخرتِه/وأسحبوا جُثَثَكم من الجدرانِ/لا أحد سينام ثانية بفراش العراق (المصدر نفسه: ٧٨)

إنّ الأطفال القتلى لم يبلغوا عمراً كبيراً فقد كانوا يتوهّمون النيران الأمريكية ألعاب نارية إلا أنّ القصف كشف لهم عن حقيقة الاحتلال الأمريكية فقد باتوا يسحبون جثث الشهداء والقتلى في الشوارع ولم يعد يأمن أحد أن ينام في فراشه بل عاشوا في الملاجئ والمنافي.

إنّ عبارة "لم يبلغ الاطفال سن الحفل" إنّما يشير إلى صغر عمر الأطفال حتى أنّهم لم يدركوا مفهوم الحرب إلا أنّ الاحتلال عاملهم بقساوة؛ كما أنّ عبارة "أسئلتهم مدت رأسها" تصوير يجسد غرابة ودهشة الأطفال عند مشاهدة القصف الأمريكي وهولهم من قساوة المجازر المرتكبة. كما أنّ عبارة "لا أحد سينام في فراشه" إشارة إلى أنّ الشعب العراقي بات لا يأمن وهويقضي حياته في الملاجئ داخل البلد أو المنافي خارجه وبذلك فلم يعد يُطيق القصف الأمريكي.

كما نرى مشهد الإشادة بالأبطال الشهداء في قصيدة "الفلوجة" إذ يمجّد فيها بطولات أهالى الفلوجة الذين ناهضوا الاحتلال الأمريكي ببسالة؛ ويشبّه الشاعر الحرب الدائرة بين أهالي المدينة والأمريكان بالمباراة نظراً لتنافس الغزاة في الفتك بالشعب الأعزل:

نصفنا أطفال/حُفاةٌ مِن دُونِ فَانيلاتٍ/والأرقامُ على عَجَلٍ/كُتِبَتْ فَوق الظُهورِ العاريةِ/كانَ خُصُومنا يَرتَدونُ الدروعَ الواقية/مَثل فريقٍ شعبيٍ/يُواجِهُ البرازيلَ (المصدر نفسه: ٩٤)

إنَّ نِصفَ الشَعبَ العِراقي الَّذي يَتم قصفه من قبل الأمريكان هم الأطفال العُزّل الحفاة الذين لا يملكون حتى الملابس في حال أنّ خصومه الأمريكيين يرتدون الدروع الواقية وقد بدت المباراة بينهم كما هو الحال بين مباراة بين فريق البرازيل وفريق شعبي بسيط أي لا يستوى الفريقان من حيث الاستعداد والتسلّح.

هُنا نُشاهد عدة ملاحظات بلاغية أولها أنّ الشاعر جعل الشعب العراقي نصفه أطفال ليشير إلى براءة الشعب العراقي وفضاعة الأمريكان في قصفهم كما أنّ تصوير الحرب الدائرة على أنّها مباراة بين فريق البرازيل وفريق شعبي يؤكّد على عدم المساواة في التسلّح والتدرّب حتى أنّ الحرب تدور رحاها بين أقوى فريق وأكثرها تسلُّحاً مع فريق أعزل لا سلاح له حتى أنّه لا يمتك ثياباً فما بالك بالسلاح؟

ثم يواصل الشاعر بعد أن جسّد الحرب المباراة فأخذ يشير إلى أحداثها مقارناً بينها وبين المباراة:

لَمْ يَشرْ الحكمُ إلى التَسَللِ/لَمْ يُشْهِر البِطاقةَ الحمراء بَوجهِ/الدباباتِ/أوقفنا في الدائرةِ الأنشطةِ/وأَعلن بِدايةَ الكابوسِ/لَمْ نَبصر على دكةِ احتياطنا حَلزوناً/لَمْ نُبصر سوى شَواهِد فَوقها أرقام (المصدر نفسه: ٩٥)

إنّ الحكم العالمي انحاز إلى الفريق الأمريكي فهو قد حكم لصالحهم فلم يشر إلى الانتهاكات التي ترتكب في حق الشعب العراقي ولم يرفع البطاقة الحمراء في وجه المجرمين فهو قد وقف بجانب المجرمين حتى استمرّ كابوس الاحتلال وتواصلت الجرائم لا تعد ولا تحصى.

هنا نرى عبارة "التسلل" استعارة عن الانتهاكات الفادحة التي يرتكبها الغزاة كما أنّ عبارة "الحكم" استعارة عن الأمم المتحدة وعبارة "البطاقة الحمراء" كذلك تشير إلى انحياز الأمم المتحدة إلى جانب الأمريكان حتى أنّها لم تقف في وجه الجرائم الأمبريالية كما أنّ الكابوس هو استعارة عن الغزو الأمريكي الرهيب كما أنّ عدم وجود احتياطي في الفريق العراقي إنّما يدلّ على قلة الأنصار والداعمين على مستوى العالم حتى أنّه لم يقم أحد بدعمها ولو بأعمال بسيطة.

أما القصيدة الثالثة للحطاب فهي بعنوان "الجنوبيون" وقد صوّر فيها أبطال الرمادي وهم يناضلون ببسالة أمام الغزاة:

رصاصَنا يَتَهجَّى/أميّون/لَكن بِنا صَبر لُغة/لِنُكمل الفَصلَ الأخير مِن المارينز/أفشينا على مَرأى مِن الهمراتِ سِرَّ وُجُوهِنا/حِين يفصلُ السَّاسَة مِن العلمِ الأمريكى ثِياباً داخلية/نَفصلهُ جواربَ لأطفالِ الرمادي (المصدر نفسه: ١١٣)

إنَّ الشعبَ العراقى رَغمَ أميّتهِ إلّا إنَّهُ يمتلك صبراً جسيماً كشف عن فداحة الإجرام الأمريكي في حال إنّ العالم كلّه كان يستر وجهه بالنقاب ويرفع العلم الأمريكي نصرة لهم إلا أنّ شعبنا الباسل كان يفصل ذلك العلم جواربا لأطفاله.

هنا نرى الرصاص لغة تفصح عن شجاعة الشعب العراقي كما أنّ تفصيل الجوارب من العلم الأمريكي يدلّ على احتقار الشعب العراقي لذلك العلم حتى أنّه يدوس به الأرض كما أنّ عبارة "إفشاء الوجوه أمام الهمرات" يدلّ على شجاعة الشعب العراقي الباسل.

٨. الأمل بالانتصار

أنشد الحطاب عدة قصائد في قضية بثّ الأمل في قلوب الشعب العراقي بهدف استنهاضهم وإثارتهم ضدّ الاحتلال الأمريكي، فقد كان الشاعر يؤكّد أنّ الاحتلال موطنه الغرب. لذا فلا مقرّ له في العراق ولابدّ أن يرجع من حيث أتى وإن طال به الزمن وارتكب ما ارتكب من مجازر وجرائم. ومن أبرز القصائد التي بثّ فيها الشاعر الأمل بالانتصار قصيدة "يوماً ما" إذ يصور نفسه والشعب العراقي في سجون الاحتلال الأمريكى متفائلاً بالانتصار والخلاص من ربقة الاحتلال:

القُضبان بأصابعها الغليظة تبحث عن روحي/يومياً أتعلّق بالقضبان/أتخيّل روحي ببلاد أخرى/بشوارع لا تعرفني/وبناسٍ لا ينتبهون إليّ/يومياً أتزوّج سرب حمام/وأطالبه أن لا يسكن بيت الطاعة (المصدر نفسه: ١٨)

إنَّ قضبان السجن تحصر روح الشاعر وهو يريد الخروج والخلاص منها. لذا فالشاعر والشعب العراقي يوماً ما يستخلصون من نير الاحتلال الأمريكى ويقلب الطاولة على المحتل فيعيد بلاده جنة كما كانت وتتخلص الشوارع من المحتلين. فهو لابدّ وإن يصافح الحرية ويتحرّر مع الحمام منطلقاً في الفضاء ويتخلّص من طاعة المحتلين.

هنا نلاحظ عدة صور بلاغية منها: أنّ الشاعر بعبارة "أتزوّج سرب حمام" يجسّد الحرية من خلال تزوّج الحمام الذى هو رمز للانطلاق والحرية. وقد ذكر الشاعر كلمة "سرب" ليشير إلى رغبته الكبيرة حتى أنّه لم يكتف بحمامة واحدة بل "سرب حمام" كامل وهذا التعبير صورة فنية يدلّ على سعة خياله.كما يلاحظ أنّ عبارة "قضبان السجن تبحث عن روحي" صورة استعارة إذ أضفى الشاعر صفات السجان على القضبان فجسّدها بهيئة الإنسان الذي يريد هلاك الآخرين ليشير إلى حقد الأمريكان في سجونهم. كما أنّ العبارة تتضمّن مجازاً إذ إنّ القضبان مجاز عن صاحب السجن وهذه الصورة أيضاً ذات أبعاد تكشف عن فداحة الجرائم الأمريكي في حقّ السجناء.

وكذلك نرى إصرار الشاعر على المقاومة والأمل بالتخلّص من نير الاحتلال في قصيدة "التواريخ" إذ يقول مجسّداً سنوات الحرب وإصراره في الثبات:

في سنة الحرب الأولى/قرّرتُ أن أزرع أصابعي/في كلّ حُفرة أراها/قلتُ غداً لابُد أن تمطر السماء/تورق الأصابع أزهار (المصدر نفسه: ٢٥)

يقول الشاعر في هذا المقطع: في أول أيام الحرب قررت أن أزرع أصابعي في كلّ أرجاء الوطن العراقي عسى أن تنبت سواعد كثيرة تقاوم الاحتلال إذ إنّ المقاومة هي التي تجلب المطر وتزدهر بعد ذلك أصابعنا من جديد.

هنا نرى عدة صور فنية تشهد على براعة خيال الشاعر منها أنّ تصوير زرع الأيدي هو كناية عن المقاومة وإيمان الشاعر بالانتصار المستقبلي. كما أنّ مطر السماء هو كناية عن انفراج الأمور والتخلص من ربقة الاحتلال وهذه الصورة قد استعار الشاعر من التراث العربي كما جاءت في شعر السياب في قصيدته الشهيرة "مطر":

إذ قال وكلّ قطرة ثُراق من دم العبيدْ/فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد/أو حلمةٌ تورَّدتْ على فم الوليدْ/في عالم الغد الفتيّ واهب الحياة/مطر مطر مطر/سيعشب العراق بالمطر. (السياب، ١٩٩٨: ٦٣)

كما أنّ عبارة "تورق الأصابع أزهار" أي تصبح الأصابع أزهاراً وفي ذلك تشبيه يكشف عن أمل الشاعر بالغد الذي تثمر فيه المقاومة وتزرع جحافل الصمود في وجه الاحتلال الأمريكي.

ثمّ في المقطع الثاني من القصيدة يُبيّن صعوبة المقاومة حتى أنّه رجّح أن يزرع يداً واحدة إذ إنّه يحتاج الثانية لإدارة أمور الحياة:

في سنة الحرب الثانية قررتُ أن أزرع أصابع كفّ واحدة/فالثانية أحتاجها/لحلاقة ذقني وأداء التحيات/مع تدفّق سنوات الحرب عليّ قلتُ أدفن نفسي في أرب موضع/وأنام كالقتيل ولكن/لم يتح لي ذلك/فقد أمطرت السماء قنابل/أورقت أصابع الشهداء بتربة قلبي (المصدر نفسه: ٥٤)

إنّ الشاعر رجّح أن يستخدم كلتا يديه في المقاومة ويجاهد بكلّ قواه إلا أنّ الحياة أرغمته على أن يدبّر في إحدى يده أمور الحرب. وفي الثانية شؤون الحياة إلا أنّ استمرار الحرب قد جعله في مضيقة أكبر حتى شارف على الموت لكثرة القنابل والقصف الأمريكي إلا أنّ الشاعر ما زال يأمل بتحسّن الأوضاع وأن تزدهر أصابعه التي زرعها. وأيدي الشهداء السابقين تتفائل بقرب انتهاء الاحتلال.

هنا نلاحظ أنّ عبارة "زرع الأصابع" تعنى أمل الشاعر بالمستقبل المزهر والانتصار كما أنّ عبارة "مطر السماء بالقنابل" صورة بلاغية تكشف عن شدّة القصف الأمريكي حتى أنّه يهطل كالمطر كما أنّ ازدهار أصابع الشهداء كناية عن ثمر الشهادة والنضال وقرب الانتصار والأمل بالخلاص، كما نرى الأمل شاخصاً في قصيدة "رامسفلد" اذ يؤكّد الشاعر حتمية انتصاره على العدو وانتصاره على المحتل:

رامسفلد/أنا لي وطن في وطني/فهل لك في وطني وطن؟؟؟/يوماً ما سنكنّسكُم كما تكنّس العاقرُ نجاسةَ أولاد ضرتها (المصدر نفسه: ٨٠)

إنَّ العراقَ موطن الشاعر وموطن آبائه وهو لم يكن موطن المحتلين لذا فإنّ الشعب العراقي سيسترجع موطنه ويخرج المحتلين من أرضه وإن طال الأمل.

إنَّ الإستفهامَ هُنَا يَحملُ دلالة الاستنكار والتقريع فالشاعر يستفهم ليستنكر على الأمريكان وجودهم في العراق واحتلالهم لأرضه واستذلالهم لشعبه ثمّ إنّ الشاعر في الأخير يصوّر انتصاره بكنسهم ليُوحي إلى أنّ الأمريكان ليسوا سوى قذارة ونجاسة كما أنّ عبارة "الضرة" يُوحي إلى شدة العداوة بين الأمريكان والشعب العراقي حتى أنّهما بمثابة الضرتين ومن المعروف أنّ الضرّات لا تعاشر بعضها كما أنّ لفظة "الضرة" هنا أيضاً يحمل ايحاءاً آخر في جذره اللغوي "ضرر" إذ إنّ الشاعر يعبّر عن إضرار الأمريكان بالوطن العراقي وأهله.

الخاتمة والاستنتاج

يظهر الأدب المقاوم في مشاركة الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية ومواجهة القوى المعتدية الغازية سواء كانت أجنبية أو داخلية وقد كان الشاعر جواد الحطاب في طليعة الشعراء العرب في العراق التزم بقضايا وطنه بعدما عاش مآسيها وقد تميز انتاجه بملامحه الثورية إذ نراه قد أنشد ديوان "اكليل موسيقى على جثة بيانو" في مقاومة الاحتلال الأمريكي وصوّر فيها كلّ الإجرام الذي ارتكبته القوات الغازية كما استنهض فيه شعبه للمقاومة وردع الاحتلال. إنّ الشاعر تناول قضية الاحتلال الأمريكي وشعره مفعم بقضايا الإشادة بالشهداء والأبطال والتنديد بالغزاة وكشف جرائمهم والتحريض على الكفاح المسلّح ومحاور المقاومة والاستنهاض الثوري لدى الشاعر كالتالي:

المحور الرئيس في المقاومة هو الدعوة إلى النضال فهو لبّ المحاور الثورية الأخرى وهدفها الرئيس إذ إنّ المحاور الأخرى كلّها تفاعلت لتبثّ الحماس الثوري في الشعب العراقي وقد أنشد عدّة قصائد ليكشف عن تحمّسهم للكفاح وتمجيده لأهله.

والمحور الثاني للمقاومة لدى الشاعر هو تعرية الإجرام الأمريكي فقد قام الشاعر بالكشف عن الجرائم الأمريكية في العراق بهدف تعبئة الرأي العالمي وحشد الجماهير العربية ضدّهم وكثيراً ما كان الشاعر يتبع هذا المحوّر بمحور الحثّ على الجهاد والنضال نظراً لعلاقة المحورين معاً حتّى أنّنا لا نكاد نجدهما مفصولين عن بعض .

كما أنّ المحور الثالث من محاور المقاومة لدى الشاعر هو الإشادة بالأبطال والشهداء فقد أولى اهتماماً بالغاً بالشهداء نظراً إلى دور الشهيد في مناصرة قضية تحرير البلاد ورغبة من الشاعر في جعله مناراً يُهتدى به وأسوة يُقتدى بها الشعب العراقي إذ إنّ الأرض لا تتحرّر إلا بعد أن تُراق الدم.

أما المحور الرابع من محاور المقاومة هو التأكيد على عنصر الأمل بالتحرير اذ نرى عنصر الأمل بارزاً جلياً في ديوان الشاعر حتى أنّه لا تكاد تخلو منه قصائده الثورية أنّ المتلقي يجد الأمل بالانتصار والتحرّر مُهميناً على شعره وهو يبعث في سامعه الشعور بالحيوية وحبّ المستقبل.

أما في ما يتعلق بالجماليات الفنية المستخدمة لدى الشاعر فنرى أنّ الشاعر استعان بفنون استدعاء الشخصيات والتناص بجانب التقنيات التصويرية القديمة كالتشبيه والاستعارة إلا أنّه كان أكثر استقاءاً من الفنون الحديثة مقارنة بالتشبيه والاستعارة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبو إصبع، صالح، (٢٠٠٥)، **ثقافة المقاومة في الآداب**، د.مكا: مطبعة الخط العربي .

البستاني، بشرى، (٢٠١٢)، **شعرية المفارقة بالحرب : قراءة في إكليل جواد الحطاب**، الأردن: وزارة الثقافة.

بلاوي، رسول، (٢٠١٨)، **استدعاء التراث التاريخي في شعر جواد الحطّاب**، مجلة التراث العلمى العربى، العدد ٣٨، صص ٢٩٣ - ٣١٦.

جمعة، حسين، (٢٠٠٩)، **ملامح في الأدب المقاوم - فلسطين نموذجاً**، بيروت: دار رسلان للطباعة والنشر.

الحطاب، جواد، (٢٠١٢)، **بروفايل للرّيح...رسم جانبي للمطر**، بيروت: مؤسّسة شرق غرب للنّشر.

الحطاب، جواد، (٢٠١٨)، **إكليل موسيقى على جثة بيانو**، بيروت: دار الساقي .

الحلوانى، فادية مليح، (٢٠٠٥). **تجليات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد ٨، صص ١-٢٠.

الحموي، ياقوت، (١٩٩٣)، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي

خليل، خالدة ، (٢٠١٢)، **اختلاف الرؤى والتلقي في الخطاب الشعري المعاصر جواد الحطاب نموذجا**، بغداد: وزارة الثقافة العراقية.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (١٩٩٤)، **مختار الصحاح**، لبنان: مكتبة لبنان.

سرمك، حسين، (٢٠٠٨) ، **أفعي جلجامش**، العراق: دار نينوى.

السياب، بدر شاكر، (١٩٩٨)، **أنشودة المطر**، تحقيق: الشاعر علي محمود خضير، العراق: دار المدى.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (١٩٩٤)، **كتاب العين**، بيروت: دار الكتب العلمية.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (١٩٩٦)، **لسان العرب**، القاهرة: دار الحديث.

مصطفى، مسلم، (٢٠٠٣)، **معالم قرآنية في الصراع مع اليهود**، دمشق: دارالقلم .

النجم، السيد، (٢٠١٤)، **أدب الحرب**، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

النصير، ياسين، (٢٠١٩)، **استنطاق الحجر - دراسة في شعر جواد الحطاب**، العراق: دار نينوى.

COPYRIGHTS

© 2022 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الاستشهاد إلى: شاهوخ مهدي، ابراهيم الخفاجي ارشد ثامر، مقاومة المحتل الأجنبي في شعر جواد الحطّاب، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة عشرة ، العدد ستة وخمسين، شتاء ١٤٤٣، الصفحات ١٨٧-١٦٢.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی